



2019-04-04

قسم الأبحاث

## أخلاق الإخوان... هل انهارت منظومة الجماعة القيمية؟

عماد علي عبد الحافظ  
باحث مصري

## مقدمة

أسفرت ثورة يناير، وما تلاها من أحداث عن الكثير من الحقائق على عدة مستويات، ومما كشفت عنه ما يمكن تسميته بـ «الأداء الأخلاقي لجماعة الإخوان المسلمين»؛ سواء كان على مستوى الجماعة كمؤسسة، أو على مستوى السلوك الفردي لأعضائها، وقد كان هذا الأداء بالنسبة إلى البعض مفاجئاً، وبالنسبة إلى آخرين، مؤكداً على قناعات سابقة.

فما الذي كشف عنه ذلك الأداء؟ وهل نجحت الجماعة في الاختبار الأخلاقي؟ وهل كان أدائها مطابقاً لتلك الصورة التي رسمتها عن نفسها؟ وهل حدث تحول في أخلاق الجماعة؟ أم أنها تتمتع بعيوب ذاتية نشأت معها؟

سوف نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة، من خلال محاور ثلاثة، يسبقها تمهيد عن ظروف وأسباب نشأة الجماعة:

## تمهيد: ظروف وأسباب نشأة الجماعة:

تنشأ الحركات الاجتماعية بصفة عامة استجابة لضغوط واقعية، وكنيجة لجملة من الظروف التي يمر بها المجتمع، سواء كانت ظروف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية، وتستهدف تلك الحركات إحداث تغيير إما جزئي يعمل على إحدى هذه الجوانب، أو كلي يهدف إلى تغيير شامل في جوانب متعددة.

وجماعة الإخوان المسلمين، كحركة اجتماعية، نشأت في واقع له سماته الخاصة، وإن كان تشخيص مؤسس الجماعة حسن البنا لواقع الأمة السياسي حينها، والمتمثل في سقوط الخلافة الإسلامية، وسقوط البلاد تحت نير الاستعمار، وفساد نظام الحكم في البلدان الإسلامية يُعد سبباً رئيساً لعقده العزم على تكوين الجماعة، إلا أنه ليس السبب الوحيد؛ فقد كان لتشخيصه الاجتماعي لواقع الأمة أيضاً مساهماً في هذا العزم.

وينطلق البنا في تشخيصه من قناعة بأن الغرب يسعى لهدم الإسلام، ليس فقط من خلال القضاء على نظام الحكم الذي يمثل المظلة السياسية التي ينضوي تحتها العديد من الدول الإسلامية، والمتمثلة في الخلافة، ولا من خلال احتلال تلك الدول وتخريبها والاستيلاء على ثرواتها وضعافها، ولكن أيضاً بهدم المنظومة الأخلاقية للمجتمع، بنشر الانحلال والإباحية فيه، والعمل على إحداث فوضى أخلاقية عن طريق نشر القيم الغربية المخالفة لقيم الإسلام، ويقول في ذلك: «من الحق أن نعترف بأن موجة قوية جارفة وتياراً شديداً دفاقاً، قد طغى على العقول والأفكار في غفلة من الزمن وفي غرور من أمم الإسلام، وانغماس منهم في الترف والنعيم، فقامت مبادئ ودعوات، وظهرت نظم وفلسفات وتأسست حضارات ومدنيات، ونافست هذه كلها فكرة الإسلام في نفوس أبنائها، وغزت أممه في عقر دارها، وتهياً لها من أسباب الإغواء والإغراء والقوة والتمكن ما لم يتهياً لغيرها، وارتفعت أصوات الدعاة إلى الفكرة الطاغية: أن خلصونا مما بقي من الإسلام وآثار الإسلام»<sup>1</sup>، وقد استفاض البنا في بعض كتاباته في وصف واقع المجتمع من هذه الزاوية، بحسب رأيه، فيقول في مذكراته: «اشتد تيار موجة التحلل في النفوس وفي الآراء والأفكار باسم التحرر العقلي، ثم في المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصي، فكانت موجة إلحاد وإباحية قوية جارفة طاغية لا يثبت أمامها شيء، تساعد عليها الحوادث والظروف»<sup>2</sup>، ويصف حالة السخط التي أصابته وبعض رفاقه بسبب هذه الأخطار فيقول: «ليس يعلم أحد إلا الله، كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء ونفكر في علاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثير لما وصلنا إليه إلى حد البكاء»<sup>3</sup>.

وقد كان البنا يرى أن هذا الخطر المتمثل في الفساد والانحلال الأخلاقي، يُعدّ من ضمن أسباب ضعف وسقوط الدولة الإسلامية فيقول: «فإنّ عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى كيان هذه الأمة القرآنية، حتى مزقت هذا الكيان وقضت على الدولة الإسلامية المركزية، ومن هذه العوامل: الانغماس في ألوان الترف والنعيم والإقبال على المتعة والشهوات...»<sup>4</sup>، ولذلك فقد بعث البنا برسالة ذات يوم إلى الملك فاروق وحكومة النحاس، وإلى العديد من ملوك وحكام العالم الإسلامي،



مطالباً إيّاهم باتخاذ العديد من الإصلاحات، منها ما هو سياسي، وما هو اقتصادي، كما تضمنت رسالته بعض المقترحات في الجانب الاجتماعي ركزت على الأمور الأخلاقية، وكان من ضمن ما حُثم عليه: «مراقبة سلوك الموظفين الشخصي، تعويد الشعب احترام الآداب العامة، محاربة الخمر، مقاومة التبرج، منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات، إغلاق الصالات وتحريم الرقص، مصادرة الروايات المثيرة، توجيه الصحافة توجيهاً صالحاً...».

وقد كان لعدم استجابة الحكومات لمطالبه، التي كان يكررها من آن لآخر، ولقناعته بأنّ تلك الأنظمة لن تقوم بمهمة الإصلاح كما يراها؛ فقد عمل البنا على تكوين جماعة تكون بمثابة النموذج الذي يريد أن يكون المجتمع عليه، وأن يتحلى هذا النموذج «المجتمع الصغير» بالسمات الأخلاقية، التي يجب توافرها في المجتمع الأكبر، وأن يقوم أعضاء هذا «المجتمع الصغير» بنشر القيم الإسلامية في المجتمع الأكبر، وتربية أفراده؛ حيث يتحول بشكل متدرج إلى صورة من النموذج المُتخيل، عن طريق تربية الفرد، ثم تكوين أسر من هؤلاء الأفراد، إلى أن يصبح المجتمع في غالبته مطابقاً لذلك النموذج، وهذه هي المراحل الثلاث الأولى في مشروع البنا (الفرد المسلم – الأسرة المسلمة – المجتمع المسلم).

لكنّ السؤال الذي نودّ الإجابة عنه من خلال إثارته هنا هو: هل استطاع البنا أن يقوم بالفعل بتحقيق هذا النموذج الأخلاقي من خلال جماعته؟ وبمعنى آخر هل كان واقع الجماعة الأخلاقي مطابقاً للنمط المثالي الذي وضعه البنا وأراد أن يصل بالجماعة إليه؟

والإجابة عن هذا السؤال تتطلب الحديث في ثلاثة أمور:

أولاً: ما هو النمط المثالي الذي وضعه البنا وتخلله للجماعة؟

وثانياً: هل في الواقع كانت الجماعة تطبيقاً عملياً لهذا النمط، أم أنه كانت هناك فجوة بينهما؟

وثالثاً: لو كانت هناك فجوة فهل هذه الفجوة كانت بمثابة تحول في أخلاق الإخوان، أم أنها تمثل عيوباً ذاتية توافرت في الجماعة منذ نشأتها؟ هذا ما سوف نحاول التعرف إليه من خلال المحاور الثلاثة القادمة:

## المحور الأول: النمط الأخلاقي المثالي الذي وضعه البنا

يجب أن نفرق، هنا، بين نمط جماعي يمثل التزامات أخلاقية تقع على الجماعة كمؤسسة، وبين نمط فردي يمثل التزامات تقع على الأفراد كأشخاص:

### أ: النمط المثالي الجماعي

آية جماعة، أو حركة إسلامية، بحكم أيديولوجيتها وطبيعتها بنيتها الفكرية، والتي تجعلها تشخص الواقع بأنه بعيدٌ كل البعد عن منهج الإسلام، وأن الناس في حاجة إلى من يعيدهم إلى دينهم؛ فإنها عادة ما يكون لديها شعور يمتلكها يجعلها ترى نفسها، وكأنها نبي بُعث في الأمة من جديد، أو هي امتدادٌ مباشرٌ للدعوة الإسلامية في صورتها الأولى، وقد كان عند البنا شيء من هذا؛ إذ كان يسيطر عليه شعور بأن الإخوان إنما جاؤوا لإنقاذ البشرية، وأنهم روح جديدة تسري في كيان الأمة فتوقظها من غفلتها، وقد وصف الجماعة بأوصاف غاية في المبالغة منها قوله: «نحن، أيها الناس، ولا فخر، أصحاب رسول الله، وحملة رايته من بعده، ورحمة الله للعالمين»<sup>5</sup>، وأيضاً: «إنكم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، وإنكم العقل الجديد الذي يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل، وإنكم دعاة الإسلام، وحملة القرآن، وصلة الأرض بالسماء، ورثة محمد، صلى الله عليه وسلم، وخلفاء صحابته من بعده»<sup>6</sup>، وعلى ذلك فقد كان يرى أن جماعة الإخوان تتحلّى بالعديد من الصفات، منها:

1- أنها دعوة ربانية؛ تستمد منهجها من منهج الله وتزن أعمالها بميزانه، ذلك المنهج الذي يحث على الأخلاق الفاضلة والقيم التي تبني المجتمعات، وتكون غايتها في كل عمل هو إرضاء الله، تتجرد من كل المصالح المادية والأهواء والغايات الشخصية، ولا تهدف إلا إلى خدمة الإسلام وتحقيق المصلحة العامة.

2- أنها دعوة إنسانية عالمية؛ ترى كل الناس أخوة متساوين، تسعى لتحقيق الخير لهم جميعاً، ولا تعترف بتلك الفوارق، القائمة على أيّ أساس، من اللون أو العرق أو الجنس.

3- أنها دعوة تشعر بالانتماء لوطنها ولقوميتها وترى أن تلك الانتماءات لا تتعارض مع انتمائها للإسلام، وأنه ثمة واجبات تقع عليها تجاه تلك الانتماءات.

4- أنها دعوة تتحلى بالوضوح والصدق في مواجهة الناس جميعاً.

5- أنها دعوة تجمع ولا تفرق، تبني ولا تهدم، تنبذ الخلافات وتبغض الفرقة وتسعى للوحدة.

6- أنها هي حائط الصدّ تجاه موجة التدني الأخلاقي الموجودة في المجتمع.

7- أنها أعف الدعوات وأشرف الجماعات كما يصفها البنا.

8- أن الله كتب لها من الإيمان والإخلاص والفهم والوحدة والتأييد، ما لم يكتبه لكثير من الدعوات الأخرى.

## ب. النمط المثالي الفردي

الفرد هو العمود الفقري للجماعة، وإنما يستمد التنظيم قوته التي يراهن عليها من عدد أعضائه الذين يدينون له بالسمع والطاعة ويتمتعون بسهولة التشكيل والتحريك؛ ولذلك قد اعتنى البنا بالفرد بشكل كبير، ومما كان يعتني به؛ هو ضبط السلوك الفردي للأفراد بضوابط أخلاقية كان يراها لأزمة لنجاح الجماعة في تحقيق أهدافها، وفي أكثر من موضع وبالعديد من الوسائل كان يحث البنا الإخوان على التحلي بصفات أخلاقية معينة، ويطلب منهم أن «تخلّقوا بالفضائل وتمسّكوا بالكمالات»، ومن أمثلة الأخلاق تلك التي ذكرها في رسالة التعاليم : «الصدق، الوفاء بالوعد، الشجاعة وقوة التحمل، الاعتراف بالخطأ والانصاف، الوقار

والجد، الحياء، التواضع، العدل وعدم نكران حسنات الغير، قول الحق ولو على حساب النفس، الرحمة واللين والتسامح والعطف، احترام الكبير، تجنب الخمر، الابتعاد عن مظاهر الترف،...»، وغيرها من الضوابط الأخلاقية التي تقع على عاتق الفرد بشكل شخصي.

## المحور الثاني: واقع الجماعة الأخلاقي

سوف نتناول، أولاً، تقييم الأداء الجماعي للجماعة ثم تقييم الأداء السلوكي للأفراد:

### أ. تقييم الأداء الجماعي

ذكرنا أنّ البنا قد رسم بعض الضوابط الأخلاقية من خلال وصفه للجماعة، وكان يرى أن الجماعة تتحرك وفق هذه الضوابط، كما أنه كان يرى للجماعة دوراً اجتماعياً يتمثل في مواجهة ما وصفه بموجة الانحلال السائدة في المجتمع، وسوف نحاول هنا، من خلال بعض الأمثلة، قياس مدى التزام الجماعة بتلك الضوابط في ممارساتها السياسية، وأيضاً معرفة مدى قيام الجماعة بهذا الدور الاجتماعي الأخلاقي:

#### • مدى التزام الجماعة بالضوابط الأخلاقية:

في استعراض سريع لتاريخ الجماعة، وبالوقوف على بعض المواقف لتقييم الأداء الأخلاقي لها، يمكننا أن نلاحظ بعض السمات الرئيسية، منها:

1- تمتعت الجماعة طوال تاريخها ببرامجياتية تعلو فوق المبادئ، وكانت دائماً تسعى إلى تحقيق مصلحة التنظيم فقط، دون الاهتمام بأية اعتبارات أخرى، وذلك عكس ما تدعيه من أنها تعمل من أجل الصالح العام، وظهر ذلك منذ البداية؛ حيث اتسمت سياسة الجماعة بالمرابطة في التعامل؛ فرغم أنها كانت تهدف إلى تغيير النظام الحاكم في مصر من خلال خطتها الساعية إلى إقامة الدولة الإسلامية، التي تراها واجب، خصوصاً أنها ترى أن مثل هذه الأنظمة

لا تطبق الشريعة، فإنها في الوقت ذاته كانت تداهنه وتعلن ولاءها له في مناسبات عدة، وكانت الجماعة تعقد الصفقات كثيراً مع الحكومات المختلفة باحثة عن مصلحة الجماعة أولاً، فقد اتفقت مثلاً مع حكومة الوفد مرة على تجنب الدخول في صدامات القصر مع الأحزاب، وغضت الطرف عن حل حركة مصر الفتاة مقابل سماح حكومة النحاس لها بالتوسع في أنشطتها، وقد استفادت من ذلك وأنشأت مئات الشعب في تلك الأثناء<sup>7</sup>، كما قبلت أيضاً بحل الأحزاب بعد ثورة يوليو، واستثناء الجماعة من هذا الحل، ولم تعبر عن رفضها لذلك، كما كان أدائها بعد ثورة يناير أيضاً دالاً على ذلك؛ حيث كانت دائماً ما تسعى إلى تحقيق مصلحتها فقط، ولو على حساب الثورة والوطن، ومن ذلك أنها تخلت كثيراً عن رفقاء الثورة من التيارات السياسية الأخرى في بعض قضاياهم، وما تعرضوا له من انتهاكات، وكانت حريصة على الوصول للحكم مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك، وما تزال، بعد سقوطها من الحكم، توجج الصراع من أجل العودة إليه مرة أخرى.

2- أعلن البنا، في بداية تأسيس الجماعة، أنها جماعة دعوية وأنها ليست حزباً من الأحزاب، ولا تمارس العمل السياسي بمعناه الحزبي، وبعد مرور عشرة أعوام تقريباً، أعلن البنا أن جماعة الإخوان هيئة سياسية، وهو بذلك يعني أن الجماعة تحولت إلى حزب سياسي، وأن لها أهداف سياسية، حيث كانت الأحزاب تُسمى هيئات أيضاً حينها، مما يعني أن نشاط الجماعة لن يقتصر على الجانب الدعوي والخيري فقط، وهذا عكس ما كان يعلنه البنا دائماً من أن دعوته تتسم بالوضوح، ولم يكن هذا تحولاً خاضعاً لتغير الظروف، ولكن البنا كان يعلم متى ينتقل من خطوة إلى أخرى، لكنه لم يكن يفصح عن هذا، إلا حين يجد اللحظة مواتية لهذا التحول.

3- رغم أن الجماعة تجعل من مبدأ الشورى قيمة إسلامية كبيرة، وترى أن الإسلام قد أرسى دعائمها؛ إلا أنها لم تلتزم به منذ اليوم الأول؛ فقد كان البنا يدير الجماعة بنوع من الاستبداد بالرأي بما له من مكانة معنوية كبيرة لدى أعضاء الجماعة، وقد ظهر ذلك في عدة مواقف؛ مثل إصراره على عدم فصل



صهره عبد الحكيم عابدين، رغم تصويت مكتب الإرشاد على ذلك بعد توجيه اتهامات أخلاقية له، وكان يحدث أحياناً، في صورة، أن يلتف على بعض قرارات مكتب الإرشاد لتوافق بعد ذلك ما يريده هو، وقد حدثت بعض الانشقاقات في الجماعة؛ بسبب تلك السياسة، كان أبرزها انشقاق من أطلقوا على أنفسهم «جماعة شباب محمد»، ومثال آخر حديث يبين كيف تلتف الجماعة حول القرارات التي تصدر على غير رغبة القيادات الفاعلة فيها؛ هو قرار الترشح للرئاسة، الذي أُعيد التصويت عليه أكثر من مرة، وممارسة بعض الضغوط حتى يصدر قرار بمشاركة الجماعة في الانتخابات بمرشح منها .

4- بعد سقوط الجماعة من الحكم، ودخولها في أزمتها الأخيرة، كان ما يغلب على أدائها بصفة عامة؛ هو الطابع غير الأخلاقي في الممارسة، والذي لم يقتصر فقط على خصوم الجماعة، ولكنه طال العديد من أفراد الجماعة غير الراضين عن سياساتها؛ فمن جانب كان لهذا السقوط تأثير على خيارات الجماعة وممارساتها التي اتسمت بالرغبة في الانتقام، لا المعارضة من أجل البناء، كما هو المفترض في أيّة معارضة، فلم يزل الإنهاء القسري لحكم الجماعة ذو أثرٍ على عقلها، جعلها لا تفكر إلا في تلك اللحظة التي توقف الزمن عندها بالنسبة إليهم، مما جعل من أداء الجماعة ما هو أقرب إلى الرغبة في الهدم فقط أياً كانت الوسائل أو النتائج، مما جعلها في أحيان كثيرة تتخلى عن الضوابط الأخلاقية التي يجب أن تتصف بها أيّة معارضة، أو أيّة حركة تهدف لصالح المجتمع في المقام الأول، وأصبحت لديها سهولة في استخدام الكذب والشائعات، وخط الحق بالباطل، وكل ما من شأنه في نظرها أن يضر بالنظام، دون أن تدرك أنه قد يضرّ بالوطن كله، ومن جانب آخر؛ كان أداء الجماعة الداخلي يتسم بسماة غير أخلاقية كذلك؛ فمن الاستبداد بالرأي والإصرار على عدم إجراء انتخابات مكتب الإرشاد إلى إقصاء المعارضين وتشويههم معنوياً، ومنع الإعانات المالية عنهم وطردهم من السكن المخصص لهم في الدول التي يقيمون فيها بعيداً عن مصر، وطرد بعض المعارضين لسياستهم من القنوات الفضائية التي تملكها الجماعة، والإبقاء على ذوي الثقة فقط، إلى التخلي عن شباب الجماعة في الخارج، وبحث القيادات عن مصالحها ومنافعها الشخصية

وانشغالهم بتكوين الثروات وتقنين أوضاعهم وأوضاع ذويهم في تلك البلاد، تاركين شبابهم لمصيرهم يواجهونه بمفردهم رغم أن ما أصابهم كان نتيجة لقرارات تلك القيادات التي أوصلتهم لذلك، وغير ذلك من الممارسات التي بدأ الحديث أكثر، ويتواتر عنها ممن يتواجدون وسط هذه الأحداث في الخارج، سواء من شباب الجماعة أو غيرهم.

5- كما ساهمت الجماعة في حالة الاستقطاب، وتعميق الشرخ المجتمعي الذي دبّ في جسد المجتمع بعد ثورة يناير، عبر خطابها وممارساتها التي كانت تنطلق من قناعتها بأنها هي التي تمثل الإسلام، وأن كل مخالفيها يحاربون الدين، وكانت تعمل على إبراز كل خلاف حول أي موقف من المواقف أو قرار بأنه ليس خلاف سياسي بل هو خلاف ديني، وذلك رغم ادّعاؤها بأنها جماعة تنبذ الخلاف وتدعو للوحدة.

## مدى قدرة الجماعة على القيام بالدور الأخلاقي المنوط بها:

عبر البناء عن هذا الدور؛ بأنّ «الجماعة هي حائط الصدّ تجاه موجة التدني الأخلاقي الموجودة في المجتمع»، وفي الحقيقة؛ إنّ الجماعة قد قدمت بعض الجهود في هذا الإطار، متمثلاً في نشر بعض القيم الإسلامية في المجتمع، واستطاعت أن تقوم ببعض التعديلات في نمط التدني الشعبي، وذلك في سبيل تحقيق خطوات مشروعها، والذي يستهدف في إحدى مراحل إعداد المجتمع المسلم كما تصفه الجماعة، هذا المجتمع الذي يكون كذلك في نظرها حين يتبنى بعض القيم الإسلامية، ويحیی بعض السنن، ويلتزم ببعض الشعائر وبعض مظاهر التدني الأخرى.

لكن، ونتيجة لفشل مشروع الجماعة السياسي والتدني في أدائها الأخلاقي في الممارسة؛ فإنه قد حصل تراجع وارتداد في هذا الجانب، هذا التراجع الذي لم يكن أثره قاصراً فقط على بعض شرائح المجتمع ممن كانوا مؤيدين لمشروع الجماعة، وإطاره العام دون أن ينتموا إليها، ولكنه امتد للكثير من أعضاء الجماعة كذلك الذين بدأ التحول في سلوكهم الفردي نحو

التحلل من الكثير من الضوابط الأخلاقية، بشكل لم يكن معتاداً فيمن ينتمي لمثل هذه الحركات الإسلامية من قبل، وهذا ما سوف نتناوله من خلال الفقرة القادمة.

## ب. تقييم الأداء الفردي

كان للدور السياسي المتزايد الذي تمارسه الجماعة، وانخراطها فيه بشكل كبير تأثيراً كبيراً على بعض التحولات فيما يخص ذلك الشأن؛ فلم تعد الجماعة دعوية إصلاحية كما بدأت، ولكن بظهور أغراضها السياسية وبسبب خطورة بعض أفكارها وأهدافها بالنسبة إلى الدولة والسلطة السياسية، فإنها دخلت في العديد من الصراعات والأزمات، كما أنها بسبب الكثير من العيوب الفكرية، والتي كان لها أثر في خطابها وسلوكها، فإنها لم تستطع أن تقدم الإسلام بشكل صحيح للناس، ولم تقدر على تقديم نموذج عصري للإسلام يكون مقنعاً للكثيرين، لكنها حملت بعض الأفكار المشوهة، وقدمت خطاباً منفرداً في الكثير منه، وجاءت ممارستها وسلوكياتها مؤكدة على ذلك.

وعلى عكس موجة التدين المتزايدة، والتي بلغت أشدها خلال العقدين السابع والثامن من القرن الماضي، فقد بدأت تنتشر الأفكار الإلحادية كثيراً داخل المجتمع، وبالطبع؛ فإن ذلك أسباباً عديدة، ولكن جزءاً رئيساً منها يرجع إلى ما ذكرناه، ودليل ذلك ازدياد معدل الإلحاد في الفترة الأخيرة، وبسبب تجربة الإسلام السياسي بعد الثورة، ونتيجة للصراع الدائر منذ ٢٠١٣، وقد انتشرت العديد من القصص على شبكات التواصل الاجتماعي، تفيد بابتعاد العديد من الشباب عن الدين عموماً.

أما عن أعضاء الجماعة؛ فمن الواضح، ومن المُشاهد على سلوكياتهم الفردية، ذلك التذني الكبير في الجانب الأخلاقي، الذي يظهر في صورة استخدامهم في معرض السجال مع معارضي الجماعة للكثير من الألفاظ النابية، والهجوم غير المنضبط بأي ضابط أخلاقي أو ديني، وعدم التورع

عن انتهاك الأعراض بالكلام، ولا عن الكذب والتلفيق وخط الحق بالباطل، وإطلاق الشائعات، إلى غير ذلك من ممارسات غير أخلاقية تصبُّ من وجهة نظرهم في التشهير بالمخالفين، أو بالنظام الحاكم، ولو كانت على غير الحقيقة، كما يظهر الكثير على لسان بعض شباب الجماعة أنفسهم، أو من خلال المقربين منهم من وجود بعض الانحلال الأخلاقي الخاص بالسلوك الفردي؛ كاتجاه العديد من شباب الجماعة لشرب الخمر، وتعاطي المخدرات، والتردد على الملاهي الليلية، خاصة في الدول التي يقيمون فيها خارج مصر، إضافة إلى ظاهرة الإلحاد التي بدأت تطال العديد من هؤلاء الشباب.

### المحور الثالث: تفسير الفجوة بين النمط المثالي والواقعي

من خلال العرض السابق؛ نجد أن هناك فجوة بين ذلك النمط المثالي، الذي وضعه البنا، والذي تخيل الجماعة عليه، وبين واقع الجماعة؛ سواء كان على المستوى المؤسسي أو على المستوى الفردي، والفارق بين المستويين أن أداء الجماعة المؤسسي، والذي كانت به بعض الممارسات غير الأخلاقية، كما ذكرنا، لم يعبر عن تحول لدى الجماعة، لكنه كان بمثابة عيوب ذاتية وُجدت معها منذ نشأتها؛ ويرجع هذا إلى طبيعة الجماعة وبنيتها الفكرية، التي ترى بناء عليها أنها هي التي تمثل الإسلام، وأنها هي من تفهم الدين على وجهه الصحيح، وقد ترتب على ذلك أن الجماعة باتت ترى أن مصطلحتها هي مصلحة الدين، وأن انتصارها وهزيمتها إنما هو انتصار أو هزيمة للدين، وبالتالي؛ دائماً ما كانت ترى أنها يجب أن تصل إلى الحكم، وتبذل في ذلك كل ما لديها، لأنه بوصولها للحكم إقامة للدين، وترتب على ذلك أيضاً عدم قبولها للمخالف بصفة عامة، ومن ثم الدخول في صدامات متكررة والقبول بإقصائه، لتخلو لها الساحة وحدها، وكذلك مواجهة المخالف بكل السبل الأخلاقية، وغير الأخلاقية، فهو في النهاية إنما يحارب الدين، ولا يريد أن يحكم الإسلام الذي تمثله الجماعة.

أما بالنسبة إلى الجانب الفردي، الخاص بسلوك الأفراد المنتمين للجماعة، فإنّه قد حدث فيه تحول كبير عما كان عليه الأمر من قبل؛ حيث

كان لطبيعة التربية الدينية في الجماعة أثر فيما يتعلق بسلوك أفرادها الذي كان يغلب عليه التدين والبعد عن المنكرات الظاهرة، وهذا بالطبع لا ينفي وجود انحرافات أخلاقية، قديماً وحديثاً، لكن الحديث هنا عن الأصل العام أو السمت الغالب، ويرجع ذلك إلى سببين؛ الأول: هو نتيجة انتماء الجماعة لمجتمع كبير، وهو الوطن الذي يعيشون فيه، والذي حدث فيه خلل في ميزان القيم وتدهور في الأخلاق عموماً؛ كظاهرة لها أسبابها التي تخص المجتمع ككل، والتي طالت كل أفراد المجتمع أياً كانت انتماءاتهم، والثاني: وهو نتيجة انتماء أفراد الجماعة لتنظيم شمولي مغلق يعمل على ربط أعضائه به بروابط متعددة، دينية وعاطفية واجتماعية واقتصادية، مما يترتب عليه انعزال هؤلاء الأفراد عن مجتمعهم الكبير، وخضوعهم لتأثير التنظيم عليهم بشكل كبير يظهر أثره في تشكيل العقل بأفكار لا تقبل الاختلاف، ونفوسهم ووجدانهم بقناعات راسخة، ويترتب على تلك التربية العديد من العيوب التي يظهر أثرها على السلوك الفردي، مثل: عدم قبول الاختلاف مع الآخر، مما يثير حفيظة الفرد تجاه أي مخالف، والدخول معه بسهولة في اشتباكات لفظية لا يتورع فيها عن استخدام كل أساليب الهجوم، المشروعة وغير المشروعة، وكل الألفاظ، الحسنة والقبیحة، ظناً منه أنه إنما يدافع عن الدين ضد أعدائه، كما قد يدفعه الدفاع إلى الكذب والتلفيق واختلاق الأمور في معركة يراها دينية في المقام الأول، وقد يصل معه الأمر إلى مقاطعة أقرب الناس إليه، ممن لا يقفون في صف الجماعة، ظناً منه أنه لا يجب أن يكون هناك التقاء بين الحق الذي يمثله، والباطل الذي يمثله الآخر، من وجهة نظره .

كما أن هناك سبباً آخر لهذا التدني الأخلاقي في السلوك الفردي؛ وهو أن الجماعة، بعد ثورة يناير، ولرغبتها في ضم أكبر عدد إلى الجماعة، كانت تتساهل إلى حد ما في بعض الشروط والضوابط التي يتطلبها الانضمام للجماعة، وقد ترتب على ذلك دخول الكثير من الشباب الذين هم، من وجهة نظر الجماعة، غير مؤهلين أخلاقياً بالشكل الكافي، ولكن الجماعة كانت في حاجة إلى توسيع قاعدتها بعد أعوام من التضييق قبل الثورة، مما ترتب

عليه تغير في نمط الأفراد الذين يشكلون جسد الجماعة، فأصبحت على هيئة غير التي كانت عليها.

## خاتمة

لم يقف عجز الجماعة عند حدّ القيام بدورها السياسي الذي رسمته لنفسها، ولكنها أيضاً عجزت عن أداء دورها الاجتماعي؛ حيث أرادت الإصلاح في جميع المجالات ففشلت في تحقيق أيّ إنجاز، فانتهت تجربتها السياسية سريعاً، وأفضت بها إلى خارج الحكم، وربما إلى خارج التاريخ في وقت ليس بعيد.

لذلك تحتاج جماعة الإخوان إلى مراجعة عميقة لأفكارها وممارساتها بشكل شمولي وجذري، مراجعة قد تفضي بها حال صدقها إلى تفكيك مشروعها، وإعادة بلورة أهدافها وترتيب أولوياتها، حتى تستطيع، على الأقل، إنقاذ ذلك الفرد الذي آمن بأفكارها وانساق وراء مشروعها، والذي أوهمته أنه من خلالها سوف يغير العالم، ليستيقظ من غفوته على فشل ذريع وحلم محطم وسراب كاذب، كان يحسبه ماء، ليتحول إلى فرد يشعر باغتراب عن العالم الذي يحيا فيه، فاقد للثقة في كلّ شيء، يسعى فقط إلى خلاص فردي يرى فيه النجاة.

## الهوامش

1. حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن، ص 106.
2. حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص 54.
3. حسن البنا، مجموعة الرسائل، رسالة المؤتمر الخامس، ص 165.

4. المرجع السابق، رسالة بين الأمس واليوم، ص 143.
5. المرجع السابق، رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن، ص 115.
6. المرجع السابق، رسالة المؤتمر السادس ص 311.
7. انظر في ذلك: موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج 1، مجموعة باحثين، تحرير د. عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 172.



hafryatnews



hafryatnews



hafryat news



hafryatnews



hafryatnews



hafryat news